الحرفة وتوابعها

في الفروق بين الحِرْفة والصناعة والخِدْمة والمهنة والسيطرة والولاية والمصلحة

قد يتردَّد المستعمل حتى يحار وتطول حيرتهُ في مواضع استعمال هذه الكلمات على التعيين فرأيت ان اجمعها واحرّر معانيها في هذه النبذة وهذا ما ظهر لي فيها

١ً (الحِرْفة) في الصحاح الحِرفة الصناعة والمحترف الصانع وفلان حريفي (بتشديد الراء بشكل القلم لا نصًّا وهو يقتضي كسر الحاء ايضًا حتى يكون كصِدِّيق) اي معاملي وهو يحرف لعياله اي يكسب من ههنا وهنا . والحُرْف بالضمّ الاسم من قولك رجل محارَف بفتح الراء اي منقوص الحظّ وكذلك الحِرفة بالكسر . اه

قلت والذي يفهم من السياق ان الحريف اي المعامل اي الذي يعمل بما تعمل به انت حَريف بفتح الحاء وكسر الراء مخفَّفة كشريك وكذلك ذكرهُ المصباح والقاموس كما سيجيء . واما الحرّيف بتشديد الراء فهو ما يلذع اللسان بحرافته كما ذكرهُ هو (الصحاح) قبيلهُ بقولهِ والحُرْف بالضم حبّ الرشاد ومنهُ قيل شيء حرّيف بالتشديد للذي يلذع اللسان بحرافتهِ وكذلك بصل حرّيف ولا تقل حريف

وفي القاموس . الحِرفة بالكسر الطُعْمة والصناعة يُرتزَقُ منها وكل ما اشتغل الانسان بهِ وضَرِيّ يسمَّى صَنْعةً (صوابهُ صِناعة) وحِرفةٌ لانهُ يحترف اليها . وحريفُكَ (بتخفيف الراء بشكل القلم لا نصًّا) معاملك في حرفتك والمحرِف والمحتَرِف الموضع يحترف فيهِ الانسان ويتقلب ويتصرَّف اه .

قلت ويتحصل منهما ان الحرفة اعمّ من الصناعة لقول الصحاح يحرف لعيالهِ يكسب من ههنا وههنا وقول القاموس الحرفة الطعمة فتكون الحرفة عبارة عن كل وجه يتقلب الانسان فيهِ ويتصرَّف للكسب حتى تشمل التجارة والزراعة ووكالات الدعاوي وتعليم العلوم والسمسرة والدلالة والطبابة والقبالة وفتح الحمّامات والقهاوي والمتفرّجات والطباخة في السوق وشواية اللحم ودقّ الحمص وكواية الثياب وتشقيق الحطب بالاجرة ودلالة الدليل في الطرقات وكيالة الحبوب والقبانة حتى كناسة الاسواق والطرق لمن يتعيش منها . وكثير من هذه المذكورات لا يُسمَّى صناعة كما سيجيء

٢ً (الصِناعة) في الصحاح الصناعة حرفة الصانع وعملهُ الصنعة بفتح الصاد وسكون النون (اي ما يكون من عمل الصانع كالخزانة والصندوق من عمل النجار يسمَّى صنعةً) ورجل صنيع

اليدين وصنع اليدين صانع حاذق وامرأة صناع اليدين اه . وفي القاموس صنَع الشيء صنعاً عمله والصناعة ككتابة حرفة الصانع وهو صنع اليدين وصَنَعُ اليدين وصنيع اليدين وصناعهما حاذق في الصنعة من قوم صنعى الايدي بضمتين وبفتحتين وبكسرة واصناع الايدي وامرأة صناع اليدين ماهرة بعمل اليدين وامرأتان صناعان ونسوة صُنُع ككتب والاولى كقذال وقُذُل كما في الصحاح اه

تنبيهات . في كلام القاموس هذا اولاً قولهُ حاذق في الصنعة صوابهُ في الصناعة لان الصنعة ما يخرج من عمل الصانع كالصندوق من عمل النجار وانما يقال فلان حاذق في النجارة لا حاذق في الصندوق . وثانياً ان قولهُ رجل صناع اليدين لم يقلهُ غيرهُ والمعروف ان هذه الصفة خاصة بالمرأة كحَصَان ورَزَان . وثالثاً قولهُ هو من قوم صنعى الايدي بضمتين فيكون وزنهُ (فُعْلَى) وبضمتين فيكون (فعُلَى) وبفتحتين فيكون (فعَلَى) وبكسرة فيكون (فِعْلَى) ولا شيء منها معدود ولا معروف في ابنية جموع التكسير فكلها تساهل منهُ رحمهُ الله والصحيح اصناع كما قالهُ اخيراً وافعال ياتي جمعاً للصفات المستعملة استعمال الاسماء فيكون صِنع كنكس وصَنَع كبَطَل وصَنِيع كشريف وكلها تجمع على افعال ولو كان (صُنْعَى) هذا معروفاً لما قالوا ليس لنا من الجموع على فُعْلَى سوى سُجْلَى وظُرْبَى

قلت ويتحصَّل من الصحاح والقاموس ان الصناعة عبارة عن عمل بدوي يجريهِ الصانع في صَنْعَتهِ ويكون مَّا يغيِّر في ذات المصنوع كالطحانة والخبازة . والطباخة او في صنعتهِ كالنجارة والحدادة والصياغة . وفي هذه وامثالها يسمَّى المصنوع باسم غير اسم مادتهِ وقد يكون عمل الصانع مما يغيِّر في صنعة المصنوع حتى يصير صنفاً من نوعهِ يتميَّز عنهُ بتلك الصنعة ويكسبهُ اسماً خاصاً كعمل الصبَّاغ ومجلِّد الكتُب وكرَّاء الثياب ومن ثَمَّ يكون الخطّ والنقوش بالحفر والتصوير بالشمس وبالالوان صناعة

واعلم انهُ وان كانت الصناعة في الاصل لما هو عمل بالايدي فقد توسعوا في استعمالها واطلقوها ايضاً على العلميَّات وهذا مما يشملهُ قول القاموس وكل ما اشتغل الانسان بهِ وصَرِي يسمَّى صنعة (اي صناعة) وحرفة وقولهُ ايضاً " رجُل صنعُ اللسان محرَّكة ولسان صَنَع يقال للشاعر ولكلّ بليغ " انتهى كلام القاموس وفي فروق حقي الصناعة بالكسر العلم الحاصل بالتمرُّن قال السيوطيّ الصناعة حرفة الصانع وعملهُ الصنعة وكل علم مارسهُ الرجل سواء كان استدلالياً او غيرهُ حتى صار كالحرفة لهُ يسمَّى صناعة . وقال صاحب الكشَّاف في تفسير قولهِ تعالى (لبئس ما كانوا يصنعون) لا يسمَّى كل عامل صانعاً ولا كل عملٍ يسمَّى صناعة حتى يتمكن فيهِ

ويتدرَّب وينسب اليهِ . وقال التفتازاني في حواشي الكشَّاف معلومات العلم ان حصلت بالتمرُّن على العمل قريبًا خُصَّت باسم الصناعة . او بمجرَّد النظر والاستدلال فبالعلم . وقد يقال الصناعة لما تدرَّب فيهِ صاحبهُ وتمكن او لما يكون المقصود الاصليُّ فيهِ هو العملَ . وبالجملة للصناعة تعلُّق بالعمل ولذا قالوا الصناعة ملَكة نفسانية يقتدر بها الانسان على استعمال موضوعات ما نحو الغرض من الاغراض صادرًا عن البصيرة بحسب ما يتمكن فيها . انتهى كلام الفروق

٣ (الخدمة) الخدمة عبارة عن عمل الخادم وتصرُّفهِ في حاجات مخدومهِ فهي غير الصناعة . واصحاب الصحاح ومختارهِ والمصباح والاساس لم يضبطوا الخدمة نصًّا واطلاقهم يرجح الكسرَ او يعينهُ لانها مثل الحرفة واما القاموس فقال خدمهُ خدمة بالكسر ويفتح . قلت ولا يجري على الالسنة في لفظ الخدمة سوى الكسر وجمعها خدَم كدُرة وسدَر وهو يدلُّ على اصالة الكسر فيها

واعلم اولاً ان خدمة الخادم ان كانت في عمل معين من حاجات مخدومهِ مما هو من قبيل الصناعة كالطباخة والخياطة للمخدوم خاصةٍ يصحُّ ان تسمَّى ايضًا حرفةً وصناعة واما اذا لم تكن في عمل معيَّنٍ او كانت في عمل معين ليس من قبيل الصناعة كشترى الحاجات من السوق مثلاً وصف السفرة وجمعها فيصحُّ ان يسمى حرفة ولا يسمَّى صناعة

وثانيًا ان الخادم من قبيل الصفة المطلقة الغير الملحوظ فيها التذكير والتأنيث كالعَصَب والايم والعانس وان شئت فقل مما جرى مجرى الاسم . ففي الصحاح الخادم واحد الخَدَم غلامًا كان او جاريةً وفي القاموس هو خادم وهي خادم وخادمة واختدم خدم نفسهُ وفي المصباح هو خادم غلامًا كان او جاريةً والخادمة بالهاء قليل

وثالثًا انهُ لم يجئ جمع خادم الا على خدَم وخدَّام ومقتضى ذلك انهُ لا يجمع على خدمة ككتبة وهو الواقع

٤ (المهنة) في الصحاح المهنة بالفتح الخدمة وحكى ابو زيد والكسائي المهنة بالكسر وانكرهُ الاصمعي وفي المصباح المهنة اخصُّ من المهن مثل الضربة والضرب وقيل المهنة بالكسر لغة وانكرها الاصمعي . وفي القاموس المهنة بالكسر والفتح والتحريك وككلمة الحذق في الخدمة والعمل . وقالوا كلهم مهنهُ خدمهُ والماهن الخادم وامتهنت الشيء ابتذلتهُ . وتفرَّد المصباح بقولهِ وهو في مهنة اهلهِ اي في خدمتهم وخرج في ثياب مهنتهِ اي في ثياب خدمتهِ التي يلبسها في اشغالهِ وتصرفاتهِ

واعلم انهُ من مادَّة (مهن) يأتي مهن بفتح العين ومضارعهُ كيمنع وينصر ومصدرهُ المهْن كالضرب ومنهُ المهنة والماهن . ومهُن بضم العين ماضيًا ومضارعًا ومصدرهُ المهانة ومنهُ المهين

بمعنى الحقير والضعيف والقليل والمبتذل. ومن ثم يكون الامتهان بمعنى العمل والحذق فيهِ في قولك امتهنت العمل الفلاني اي اتخذتهُ مهنةً من مهن المفتوح عين الماضي. ولا شيء فيهِ من الصغار. والامتهان بمعنى الابتذال والاذلال والاحتقار في قولك امتهنت فلانًا او الثوب من مهُن المضموم العين ولا شيء فيهِ من الحذق

ويتحصل مما تقدَّم اولاً ان المهنة تطلق على الخدمة والصناعة غير انها لا تطلق عليهما الاَّ مع اعتبار الحذق فيهما فيكون الماهن في خدمة الحاذق فيها والماهن في صناعة الحاذق فيها

وثانيًا ان مثل التجارة ووكالة الدعاوي والخطابة والتأليف وانشاء ما ينشر في الجرائد وسائر امثال هذه المذكورات ادخل في معنى المهنة منها في معنى الحرفة — واذا اطلقت المهنة على نحو الرياسة والوزارة والامارة وقيادة الجيوش والقضاء وادارة المعامل والقيام على المهام الدولية او العمومية فلا يكون اطلاقها هذا باعتبار العمل البدني ولكن باعتبار ما تستلزمهُ من اعمال النظر والامر والنهي بحسب ذلك

وثالثًا ان انكار الاصمعيّ كسر ميم المهنة غير وجيهٍ اولاً لانهُ نقلهُ ابو زيد والكسائي وهما امامان مثلهُ بل ابو زيد اعرف واوثق منهُ في اللغة. وثانيًا لان القياس يقتضيهِ فهي كالحرفة والخدمة وهما بالكسر. وثالثًا لان جمعها مِهَن كسدرة وسدر وهو قياس جمع فعلة بالكسر وجاء ايضًا مُهَن كغُرَف والضم فيهِ من تناوب الضمة والكسرة للحل الواحد. واما جمع فَعْلة بالفتح فقياسهُ الفِعال بكسر الفاء كحربة وحراب وما جاء منهُ على فِعَل كبدرة وبِدَر نادر لا يقاس عليهِ وان اعتبر فيها بناء المرَّة كما يلمح من كلام المصباح تعين جمعها على فعلات كجلسة وجلسات وكلها ادلَّة على بطلان انكار الاصمعي

٥ً (الوِلاية) بالكسر والفتح وان كان الكثير على الالسنة الكسر عبارة عن السلطة والإمرة على عملٍ ما من الاعمال البدنية او المعنوية فهي غير الحرفة وغير الخدمة لدلالتهما على العمل البدني دونها وانما هي تدل على الإمرة على العمل امرًا ونهيًا في الشيء المولَّى عليهِ

٦ً (السيطرة) عبارة عن السلطة على العمل بمعنى الاشراف عليهِ وتعهدهِ وكتابة وحفظ ما يجرى فيهِ من زيادة ونقص وتجديد وازالة ونحو ذلك ويرادفها الآن في اصطلاح السياسة الدولية النظارة وفي لسان العامَّة الحوْلية

٧ً (المصلحة) عبارة عمَّا يترتب على الفعل (من الخير والنفع). وما يبعث على الصلاح ومن هذا سمي ما يتعاطاهُ الانسان من الاعمال الباعثة على نفعهِ مصلحة لهُ. قلت وعلى هذا فالمصلحة اعمُّ من كل ما ذكر من هذا القبيل. والله اعلم

ظاهر خيرالله الشريدي